العملية العسكرية الروسية على أوكرانيا: تحليل للتشابه الجيوسياسي والعسكري بين المسرَحين الأوكراني والسوري»

تـحـلـيـلات

عمار فرهود

٣ يونيو ٢٠٢٢

الشرق للأبحاث الاستراتيجية
AL SHARQ STRATEGIC RESEARCH

المحتوى

مقدمة	٤
التطابق الجيوسياسي لأوكرانيا وسوريا في عيون روسيا	٥
تقييم مدى نجاح أو فشل الأساليب الروسية في الحرب الأوكرانية	٩
خاتمة	١٤
المراجع	١٦
عن المؤلف	١٨
عن الشرق للأبحاث الاستراتيجية	١٨

في ظل إصرار القيادة الروسية على تحقيق أهدافها في الهجوم على أوكرانيا تبرز الحاجة إلى الحديث عن التشابه الجيوسياسي والعسكري بين المسرحين الأوكراني والسوري لدى القيادة الروسية، هذا التشابه ساعد القيادة الروسية على اختبار نجاعة الخبرة العسكرية المُكتَسَبَة من سوريا في أوكرانيا

مقدمة:

بعد مرور أكثر من مئة يوم على بدء العملية العسكرية الروسية الخاصة في أوكرانيا والتي من الممكن أن تندرج ضمن المحاولات الروسية في إعادة تشكيل مناطق النفوذ الجيوسياسي ابتداءً من حرب جورجيا عام ٢٠٠٨ ثم حرب القرم ٢٠١٤ وصولاً إلى العملية العسكرية الحالية في الشرق الأوكراني، تبرز ضرورة دراسة الأداء العملياتي والتكتيكي العسكري الروسي على مسارح العمليات في الساحة الأوكرانية التي تتطابق في عدة نواحي مع الساحة السورية التي انخرطت فيها القوات الروسية منذ سبعة سنوات. هذه العملية التي تُخاض على جغرافيا تشبه إلى حدٍّ كبير الجغرافية السورية جَعَلَ الاستلهام من الخبرة العسكرية الروسية في سورية أمراً ممكن التطبيق في المسرح الأوكراني وخاصة بعد التغييرات التي أجرتها القوات الروسية على هياكلها التنظيمية وعلى الأداء الفني لأسلحتها.

تهدف الورقة إلى تسليط الضوء على تطبيق القوات الروسية لخبرتها العسكرية المستمدة من الحرب السورية على مسارح العمليات العسكرية في أوكرانيا إضافة للتكتيكات المتبّعة في هذه المسارح، وتنبع أهمية ذلك في القدرة على تمكين القارئ من فهم واختبار مدى قدرة هذه الخبرات الروسية المكتسبة من سوريا على تحقيق الهدف السياسي الروسي المنشود في أوكرانيا ضمن معطيات جغرافية وعسكرية متقاربة مع المعطيات الجغرافية والعسكرية السورية.

تناولت عدد من الدراسات والمقالات العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا ضمن سياقات محددة تكتيكية أو عملياتية لكنها غير مُجمِلةَ للسياق العام للحرب، مثل أداء سلاح الجو الروسي أو تكتيكات القوات الأوكرانية أو الفروق في ديناميات القيادة والسيطرة بين القوتين المتصارعتين. يعوز ما سبق من الدراسات عدم ربط جميع ما سبق إضافة لعدم تناولها لعوامل أخرى كالعامل الجيوسياسي الدافع لهذه الحرب وتطابقه مع العامل الجيوسياسي السوري وكذلك الاستلهام الروسي من الأداء العسكري والسياسي لهُ في سوريا.

انطلاقاً مما سبق تجيب هذه الورقة على السؤال التالي: كيف استخدمت القيادة الروسية العسكرية والسياسية خبراتها وأساليبها العسكرية والسياسية التي اكتسبتها في سوريا في غزوها لأوكرانيا؟ وكيف استطاعت تحقيق بعض النجاح من خلال هذه الخبرات مقابل عدم نجاحها بسبب فقدان القراءة الدقيقة لجغرافيا الحرب الأوكرانية واعتمادها على فكرة الاستنساخ لبعض الخبرات المكتسبة من سوريا على الساحة الأوكرانية ظنّاً منها بوجود تشابه شديد بين حالة القوات الأوكرانية والمعارضة العسكرية السورية من ناحية الأداء الميداني العسكري والهيكلية الإدارية والدعم السياسي.

تناقش مقدمة الورقة التطابق الجيوسياسي لأوكرانيا وسوريا في عيون القيادة السياسية الروسية ما جعل وقوع هذه الحرب أمراً بديهاً لمن يقرأ عقليّة روسيا الجيوسياسية كما يصفها ألكسندر دوجين في كتابه[1]. ثم تقدم الورقة أبرز نقاط التشابه والاختلاف العسكرية بين الساحة الأوكرانية والساحة السورية

والتي استفادت منها روسيا في حربها على أوكرانيا. تنتقل الورقة بعدها إلى تقديم قراءة مفصّلة لتطبيق روسيا لخبراتها العسكرية المكتسبة من الحرب السورية على مستوى التكتيكات ومستوى مسارح العمليات العسكرية ضد القوات الأوكرانية. تحاول الورقة في القسم الرابع تقديم قراءة مفصّلة لأبرز العوائق الداخلية والخارجية التي كانت السبب في تعثّر القوات الروسية على مسرح الحرب الأوكرانية. تَختِمُ الورقة هذا البحث بقراءة آثار هذه الحرب على الساحة الدولية وخاصة الأوروبية، أضافة لتقييم الأداء العسكري الروسي في أوكرانيا اعتماداً على خبرته المكتسبة من سوريا وكذلك السيناريو الأقرب للوقوع في المسرح العسكري الأوكراني، ونهايةً انعكاسات هذه الحرب على الساحة العسكرية السورية والفاعلين الدوليين والإقليميين فيها.

التطابق الجيوسياسي لأوكرانيا وسوريا في عيون روسيا

تعتبر القيادة الروسية من منطلقٍ جيوسياسي أن الحرب في أوكرانيا هي حربٌ دفاعية[2] قريبة جغرافياً[3]، والحرب السورية حرب دفاعية بعيدة جغرافياً[4]. وفق المفهوم الجيوسياسي الروسي تعتبر أوكرانيا خط الدفاع الأول عن موسكو وذلك لأنها منطقة سهلية تقع شرق جبال الكاربات[5] الشهيرة التي سعى الروس منذ تأسيس دولتهم زمن ايفان الرهيب[6] إلى السيطرة عليها وعلى الموانع الطبيعية الأخرى التي تقف عائقاً أمام القوات الراغبة في الهجوم على موسكو (الشكل ١)، أما سوريا فهي خطٌ دفاعيٌ متقدم عن أوراسيا وموقعٌ متقدم لموسكو على المياه الدافئة التي تبحر فيها غالب التجارة البحرية العالمية.

الشكل (١) الموانع الطبيعية التي تعتبر روسيا السيطرة عليها ضرورة لحماية موسكو من الغزو

لقد شدد المنظرون الجيوسياسيون الغربيون على أهمية أوكرانيا باعتبارها المفتاح الجغرافي لموسكو. وأبرز من نَظَّرَ لهذا المفهوم هو زبينغو بريجينسكي[7]، حيث أطلق في كتابه رقعة الشطرنج على الإقليم المحيط بروسيا البلقان الأوراسي في تشبيه لها بمنطقة البلقان الأوروبي والذي يعتبره الجيوسياسيون المفتاح الجغرافي لأوروبا واعتبر الحزام المحيط بهذا الإقليم (بما فيه أوكرانيا) هي منطقة الزعزعة التي يجب أن ينطلق منها الغرب في السيطرة موسكو (الشكل ٢).

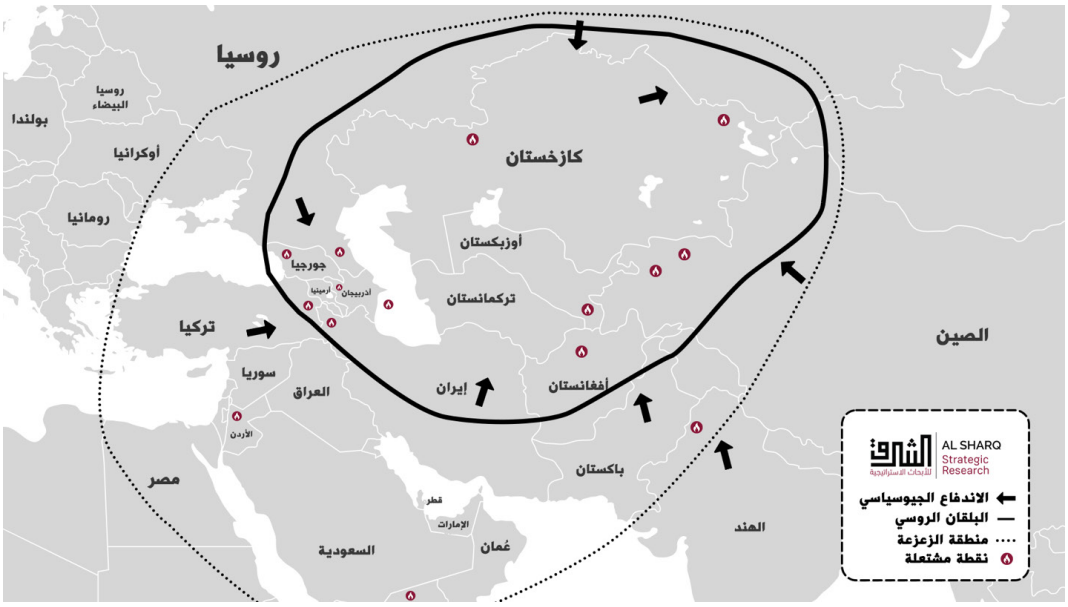

الشكل (٢) منطقة الزعزعة والبلقان الأوراسي حسب نظرية زبينغو بريجينسكي

تشابه مسرح العمليات الأوكراني والسوري والخبرة الروسية المكتسبة من الأخير:

بداية لا بد من التعريف بأن الجيش الروسي هو جيش بريّ[8]، يجيد القتال في المناطق السهلية المفتوحة ويبتعد عن القتال ضمن الجغرافيا الوعرة.

بدأ الجيش الروسي عملياته العسكرية في سوريا أيلول عام ٢٠١٥ بجانب قوات نظامية وفي مواجهة قوات غير نظامية خفيفة التسليح ولا مركزية القيادة كما خاض في الساحة السورية معارك متنوعة في جغرافياتٍ بريّةٍ مختلفة أكسبته مزيداً من الخبرة.

يتشابه المسرح العسكري الأوكراني مع السوري بعدد من النقاط:

١. أنه مسرحٌ برّيٌ سهليّ (خاصة في الشرق والجنوب الشرقي الأوكراني) لا يواجه الروس فيه تضاريس وعرةً وقاسية.

٢. لا يوجد فيه قوة جويّة مكافئة أو دفاعات جوية متطورة وإن وجد فتفتقد للكثافة النارية والاستمرارية على المدى الطويل.

٣. خطوط الإمداد العملياتية[9] الروسية متوسطة الطول ومن الممكن تغطيها.

٤. وجود عدد من السكان المحليين الموالين لروسيا[10] والذي يقومون بعملية الدعم المعلوماتي واللوجستي.

يبقى الفرق الأبرز بين المسرح السوري والأوكراني هو أن القوات الروسية تواجه في المسرح الأخير خصماً يملك صواريخ متطورة مضادة للطيران ومضادة للدروع، ودعماً جيداً في عمليات التموين العسكري والمعلومات الاستخباراتية النوعية وهو ما سنذكر نتائجه على الأداء الروسي في أوكرانيا بعد قليل.

تطبيقات الخبرة الروسية في سوريا على مسرح الحرب الأوكرانية:

يظهر من خلال قراءة الخريطة العسكرية للحملة الروسية على أوكرانيا تقسيم الجيش الروسي أوكرانيا إلى خمسة مناطق عمليات[11] رئيسية: شمالية «كييف»، شمالية شرقية «مدينة سومي»، شرقية «مدينة خاركيف ومدينة دونتسيك»، جنوبية شرقية «مدينة ماريبول»، وجنوبية «مدينة أوديسا».

يظهر من التقسيم والأهداف السابقة اعتماد القوات الروسية في مسارها الإستراتيجي على جميع مسارح العمليات هذه على مذهب الجنرال السويسري أنطوان جوميني[12]، والتي تعتمد في جوهرها على أن يعمل المهاجم على تحديد عدد من مراكز الثقل[13] لدى المدافع ثم يسعى بعد تحديدها إلى عمل عسكري بهدف قطع التواصل فيما بينها ثم حصارها دون الهجوم عليها بشكل مباشر بالتزامن مع استغلال نقاط الضعف في كل مركز للهجوم والسيطرة عليه وفق تكتيكات سنذكرها لاحقاً. وهذا ما تم تطبيقه من القوات الروسية في سوريا منذ دخولها عام ٢٠١٥ حيث عملت على قطع التواصل بين مراكز الثقل المعارضة لحكومة الأسد وحصارها ثم الاستفراد بها واحدةً تلو الأخرى كما جرى في درعا والغوطة الشرقية لدمشق وريف حمص الشمالي ومدينة حلب وادلب.

بعد أن استطاعت القوات الروسية تطبيق التوصيات السابقة على بعض مراكز الثقل مثل خاركيف وسومي وماريوبل بدأنا نلاحظ نيتها في تطبيق مذهب العسكري الإيطالي جوليو دوهيت[14]، والتي توصي بالاعتماد في تحطيم الأمة داخل مراكز ثقل العدو على القوة الجوية بشكل غزير من خلال استهداف أهداف مدنية بالدرجة الأولى ثم عسكرية لتحقيق أهداف متتالية هي:
١. تليين[15] القوة النارية للمدافع.
٢. إيقاع خسائر كبيرة في صفوف المجتمع المدني الذي يعيش ويتحرك داخله العسكري المدافع.
٣. زيادة الضغط البشري على المرافق الحيوية وخاصة الطبية والغذائية مما يجعلها تستنفذ مدخراتها بسرعة أكبر ما يؤدي إلى تقصير العُمر المفترض للقدرة على الاستمرار بالدفاع.
٤. إجبار المدنيين على تشكيل قوة ضاغطة على القوات المُدافعة بهدف إيجاد حل عاجل وسريع لإيقاف القصف الجنوني الذي يتعرضون له.
٥. تشتيت تركيز القوة العسكرية المدافعة بين خط الإشتباك[16] «الذي يضغط فيه المهاجم» والعمق الدفاعي الإستراتيجي لها «والذي يضغط فيه المدنيون والعملاء المحتملون للمهاجم».

من خلال ما تم ذكره سابقاً نلاحظ تكرار الروس لنفس الأساليب التي اختبروها في سوريا ضد قوات المعارضة وأنتجت نجاحاً لهم في مدينة حلب[17] والغوطة الشرقية لدمشق.

أبرز ما دفع الروس إلى إعادة تدوير هذه الأساليب مايلي:
١. تفوق الجيش الروسي بمستوى التسليح على الجيش الأوكراني.
٢. الجيش الروسي ذو خبرة قليلة في المعارك داخل المدن والمناطق المأهولة بالسكان المعاديين لروسيا حيث إن تجربة حرب الشيشان الثانية عام ١٩٩١ كانت آخر تجاربه، ولذلك كان الاستلهام من التجربة السورية أقرب طريقة لتحقيق نصر بأدوات مضمونة مجرّبة.
٣. الجيش الروسي خاض الحرب في سوريا ضمن تضاريس منخفضة الوعورة، وهذه الصفة التضاريسية وجدها في شرق وجنوب أوكرانيا.

كل مما سبق أقنع قادة الجيش الروسي بإعادة استعمال تكتيكاتهم في سوريا على المسرح الأوكراني وأبرزها:

١. بيلتزكريغ[18]:

استطاع الروس تطبيق هذا التكتيك بشكل ناجح على المحور الشمالي «محور كييف»، حيث وصل الروس خلال ٤٠ ساعة إلى عمق ١٥٠ كم داخل الأراضي الأوكرانية مستفيدين من عنصر المفاجأة الذي أربك القوات الأوكرانية المُدافعة وأفقدها القدرة على المبادرة بالرد إلّا بعد ٤ أيام من التقدم الروسي. وقد رأينا تطبيق الروس لهذا التكتيك في السيطرة على مطار كويرس شرق حلب نهاية عام ٢٠١٧.

٢. الإنزال:

استخدم الروس في هجومهم على أوكرانيا إنزالات بريّة وبرمائية[19]، ووصل عدد الإنزالات التي تم رصدها من المصادر المفتوحة إلى أكثر من ٢٥ إنزالاً نجح منها ٦ أي ٣٠٪ وفشل الباقي، وأبرز المواقع التي سيطر عليها الروس من خلال عمليات الإنزال محطة تشيرنوبل النووية ومطار هوستميل غرب كييف والتي انسحبوا منهما بعد ٤٠ يوماً من المقاومة الأوكرانية. في سوريا اقتصر تنفيذ الروس لعمليات الإنزال على حملتهم في البادية الشامية ضد تنظيم الدولة في منطقة تدمر عام ٢٠١٨ حيث كانت الإنزالات تتم غالباً في الليل وتقتصر على كونها انزالات تكتيكية[20].

٣. الأسراب المروحية:

رصدت عدسات الكاميرات في أوكرانيا أسراباً من المروحيات الهجومية الروسية وهي تهاجم في ضواحي كييف، لم نستطع رصد أي نجاح استطاع الروس تحقيقه من هذه الأسراب باستثناء الدعم الناري الذي يقدمونه للقوات البرية المهاجمة في ضواحي مدينة كييف. كما رصدت عمليات مشابهة للروس في منطقة البادية أثناء حملات التمشيط ضد تنظيم الدولة حيث استفاد الروس من هذه الحملة في القيام ببعض الإصلاحات على مروحياتهم الهجومية[21].

٤. الأمواج:

في مراكز الثقل الرئيسية التي تمكن الروس من إطباق الحصار عليها بدوءا باستخدام هذا التكتيك كما نرى في خاركيف، ماريوبل وسومي وكما رأيناه في حلب والغوطة الشرقية. يتضمن التكتيك ضرب المهاجم للمدافع بثلاثة أمواج متتالية بعد تقطيع المدينة المحاصرة إلى مناطق صغيرة وذلك لتحقيق الأهداف التالية:

الموجة الأولى للاستطلاع وكشف طبيعة تحصينات المدافع وأنواعها ومواقع السلاح فيها.

الموجة الثانية لتخريب أو تدمير هذه التحصينات ثم انشاء نقاط ضعف فيها، وإسكات واستنزاف مصادر نيران المدافع وجرّها للظهور أكثر لتسهيل استهدافها.

الموجة الثالثة لتدمير تحصينات المدافع انطلاقاً من نقاط الضعف التي نشأت فيها نتيجة الموجتين السابقتين.

هذا التكتيك تم رصده بشكل واضح في السيطرة على مدينة حلب عام ٢٠١٧.

تقييم مدى نجاح أو فشل الأساليب الروسية في الحرب الأوكرانية:

حققت القوات الروسية تقدماً ملحوظاً في مسارح العمليات بالاعتماد على تجربتها المكتسبة من الحرب السورية لكن بالمقابل واجهت القوات الروسية في أوكرانيا عدداً من العوائق التي لم تواجهها في سوريا ما أفقدت بعض تكتيكاتها فعّاليتها وحال دون تحقيق الأهداف المرجوّة منها كما أنه دفعها للانسحاب من محاور مهمة مثل كييف وخاركييف وسومي بهدف التركيز على المحاور الجنوبية والشرقية في اقليميّ دونباس ولوهانسك وماريوبل وشمال جزيرة القرم.

أبرز هذه العوائق:

١. تربة راسبوتيتزا الأوكرانية:

راسبوتيتزا هي تربة رخوة غير متماسكة القوام لا تستطيع الآليات الثقيلة السير عليها لهشاشتها. هذه التربة كانت سبب لإيقاف حركة عدد من منظومات الدفاع الجوي والآليات الروسية، إضافة لأنها كانت عامل رئيسي في دفع القوات الروسية إلى السير على الطرق المسفلتة ما جعل إمكانية استهدافها من قبل القوات الأوكرانية أكثر سهولة لأن توقع طرق مسيرها أصبح سهلاً.

٢. مجموعة الكتيبة التكتيكية BTG[22] (الشكل ٣):

لا يوجد في القوام الرسمي للجيش الروسي هذا النوع من القوات وإنما استحدثها السوفييت في حربهم على أفغانستان ثم في حرب أوكرانيا بإقليمي دونباس ولوهانسك عام ٢٠١٤ وأخيراً في الحرب السورية ممثلة بقوات الفرقة ٢٥ مهام خاصة[23].

يعاني هذا النوع من القوات من مشكلتين رئيسيتين:

الأولى: أنها ليست مخصصة للسير والقتال لمسافات طويلة[24] لأنها لا تملك قوات امداد وتموين قادرة على تغطية هذه المسافات وهذا ما شاهدناه من مشاكل واجهت القوات الروسية في مسألة الغذاء والمحروقات في مسرح عمليات خاركييف وسومي وكييف حيث اضطرت هذه التشكيلات على قطع مسافات تراوحت بين ١٥٠ إلى ٣٠٠ كم. على العكس من سوريا حيث كانت المسافات لا تتجاوز ٣٠ كم كما في معارك فك الحصار عن حلب أو الغوطة الشرقية لدمشق.

الثانية: بحكم أنها قوات ليست من صنف واحد وإنما هجينة فإنها مع الفترة الزمنية الطويلة تعاني من مشكلة التواصل والتنسيق فيما بينها وخاصة في مسائل الاستطلاع والمَسِير والدفاع وهذا ما جعلنا نرى كميّة كبيرة من هذه القوات تتعرض للاستهداف بشكل متكرر من القوات الأوكرانية والسبب ضعفها في عملية الدفاع عن نفسها ما أدى لانعكاس أدائها على مجمل مسرح العمليات الشمالي والشمالي الشرقي.

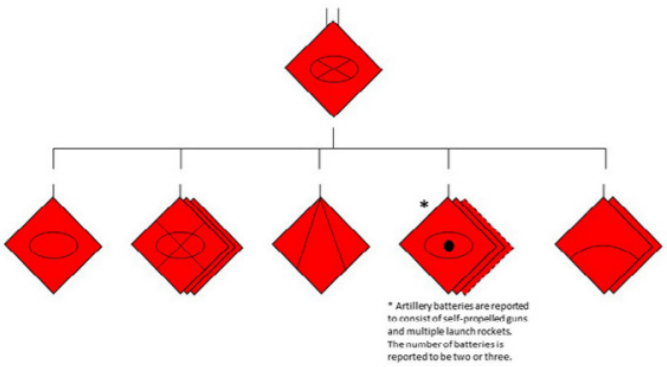

الشكل (٣) رمز وتركيبة الكتيبة التكتيكية في الجيش الروسي

٣. حرب المعلومات:
استطاع الأوكرانيون التفوق على القوات الروسية المهاجمة في الحصول على المعلومة بشكل أسرع وأدق من خلال حلف شمال الأطلسي وشركات الأقمار الصناعية وأجهزة الاستخبارات الدولية ما جعل إمكانية تطبيقهم لحلقة OODA[25] على المستوى التكتيكي أسرع من الطرف الروسي وبالتالي استباق الروس بخطوة في عدد من المحاور (الشكل ٤) ما أدى لتراكم نجاح تكتيكي أوكراني أفضى في النهاية إلى اقفال مسارح عمليات روسية مثل مسرح عمليات كييف وخاركييف وسومي. بينما في سوريا كان الروس هم المتفوقين في مجال المعلومات وبالتالي متفوقين في تطبيق حلقة OODA مقارنة بقوات المعارضة السورية.

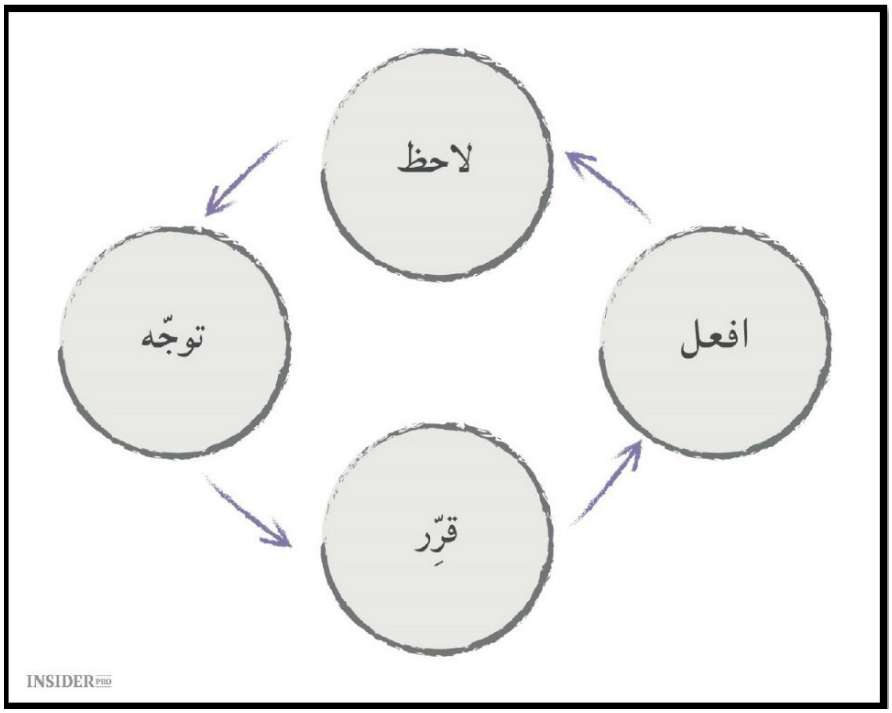

الشكل (٤) حلقة OODA

٤. فقدان سلاح الجو الروسي للفاعلية المطلوبة:
في سوريا استطاع سلاح الجو الروسي تحقيق تغيير كبير في مسرح العمليات ومحاور القتال لفقدان المعارضة السورية لأي سلاح جوي أو حتى لمضادات جوية ثابتة أو محمولة على الكتف، لكن في أوكرانيا لم يُلاحظ ذلك لعدة أسباب:

الأول: إمكانية الطيارين الأوكرانيين من التحليق على ارتفاعات منخفضة ما أدى لعدم قدرة الرادارات الروسية من رؤيتهم وبالتالي عدم القدرة على استهدافهم بالصواريخ المضادة للطيران أو من خلال اشتباك جو - جو[26]، بينما مكّن ذلك الطيارين الأوكرانيين من اسقاط عدد من الطائرات المقاتلة الروسية.
الثاني: امتلاك القوات الأوكرانية لصواريخ مضادة للطيران ومحمولة على الكتف[27] بأعداد وفيرة، ما أجبر الطيارين الروس على التحليق بارتفاعات عالية وبالتالي صعوبة رؤية أهدافهم الأرضية بوضوح هذا

ما أدى لأن يبقى سلاح الجو الروسي غير فعال إلى حد كبير حيث لم يتحسن التكامل الجوي-الأرضي كثيرا، فكما رُصِد تتخلف دورة الاستهداف الروسية بشكل رهيب عن البيانات في الوقت الآني، حيث يعتمد الطيارون الروس على معلومات ما قبل الرحلة أكثر من التوجيهات المباشرة على الأرض، مما يجعل الذخائر الموجهة الروسية SVP-24 غير فعّالة. بنسبة وصلت إلى [28]60%. بالمقابل أدركت القيادة العسكرية الروسية أن الأوكرانيين يفتقرون إلى النواظير الحرارية لمنصات إطلاق صواريخهم المضادة للطيران، فقد حَوَّل الروس جميع العمليات الجوية إلى ما بعد حلول الظلام.

الثالث: جودة تمويه القوات الأوكرانية لمواقعها ومعداتها وهذه الميزة المتقدمة جاءت من أن تشكيلاتهم صغيرة ولا تحتاج لعمليات تمويه كبيرة ومكلفة[29].

الرابع: انخفاض عدد ساعات الطيران الحقيقية للطيران الروس في معركة يواجه فيها الطيار صواريخ حديثة مضادة للطيران أو طائرات معادية مقاتلة ما جعل قدرة المناورة أمام هذه الصواريخ والطائرات ضعيفة[30].

الخامس: عدم امتلاك سلاح الطيران الروسي لأسلحة جو-أرض[31] ذكية وعالية الدقة ما جعل إمكانية إصابة الدفاعات الأوكرانية بسهولة أمر بالغ الصعوبة بالنسبة للطيارين الروس.

السادس: ضعف منظومات الدفاع الجوي الروسي[32] في إمكانية تمييز العدو من الصديق، حيث إن الطيران الأوكراني يستخدم نفس نوع الطائرات الروسية، ما جعل استبعاد هذا السلاح من ساحة المعركة خياراً إجبارياً للقوات الروسية.

السابع: عدم قدرة سلاح الجو الروسي على تنفيذ عمليات قتالية جويّة معقدة.[33]

الثامن: لا تملك قيادة سلاح الجو الروسي القدرة على قيادة أسراب من المقاتلات كما فعلت قوات حلف شمال الأطلسي في حربها في العراق وأفغانستان، فالخبرة القتالية الجوية الروسية المُكتَسَبَة من سوريا هي عبارة عن عمليات ضيّقة بتشكيلات جويّة صغيرة[34].

التاسع: مشاكل هيكلية في قضية الصناعات الدفاعية الجويّة، فالروس لم ينفقوا الكثير في تطوير الدفاع الجوي لطائراتهم حيث إن انشغالهم بالتعامل مع الحرب السورية لم يحثهم على تطوير أسلحة الدفاع الجوي لطائراتهم أو لمنصات الدفاع الجوي الأرضيّة لأن الخصم الذي كان يواجِهُهُم لا يمتلك هذا المستوى من الأسلحة الجوية كالطائرات أو أنظمة الدفاع الجوي[35].

إضافة لما سبق من مشكلات فإن انتهاج المقاومة الأوكرانية لعدد من التكتيكات الدفاعية وتحركهم وفق قواعد القتال المعتمدة من قوات حلف شمال الأطلسي للتشكيلات المتوسطة الحجم كالكتيبة فاقم من المشكلات التي تواجه القوات الروسية المهاجمة على مستوى التكتيك، وقبل أن نذكر التكتيكات الأوكرانية التي شكّلت عائقاً حقيقياً أمام القوات الروسية لا بد من التنويه أنه خلال العقد والنصف الماضي لم يستطع الجيش الأوكراني أن يكتسب طابعاً واحداً في العقيدة القتالية والتسليح وسلاسل الأوامر ونماذج القيادة والسيطرة والحركة والانتشار وقواعد الاشتباك، فقد كان تسليحه بالغالب روسياً وبعد حرب عام ٢٠١٤ بدأ بتلقي تدريبات عسكرية من الناتو على مستوى قائد كتيبة وما دون[36]، وهذا ما أفضى لميزات وسلبيات داخل القوات الأوكرانية حيث أصبحت حركتهم تكتيكياً وعلى مستوى الكتائب سهلة بينما على مستوى العمليات والفرق بطيئةً ومُتَرَهِلة نوعاً ما وتعتمد في نجاحها على قرار الانسحاب أو إيقاف الهجوم الروسي وليس على عكس الدفاع الأوكراني إلى هجوم مضاد، أي اعتمد الأوكرانيون على تكثيف الدفاع لإقناع الروس بعدم جدوى هجومهم وأنهم قادرين على رفع كلفة النصر في بعض

المحاور مثل كييف وخاركييف وسومي لمستويات عالية قد تؤدي إلى انعكاسات سلبية على المستوى السياسي الروسي وبالتالي دفع الروس لإقفال بعض مسارح العمليات والانسحاب منها كما فعلوا في الشمال والشمال الشرقي.

نعود للتكتيكات الدفاعية الأوكرانية وهي:
١. القتال ضمن التحصينات:
وقد لوحظ هذا التكتيك بشكل كثيف على الجبهة الشرقية والجنوبية الشرقية، والسبب في تركيز التحصين هناك أن الأوكرانيين بعد حرب عام ٢٠١٤ وسيطرة الروس على شبه جزيرة القرم وأجزاء من اقليميّ لوهناسك ودونتسك بدأ الجيش الأوكراني بتحصين الجبهات المقابلة اعتقاداً منهم بأن الهجوم الروسي المقبل سيكون انطلاقاً من هذه الجبهات للسيرة على شواطئ أوكرانيا على بحر آزوف والبحر الأسود.

هذه التحصينات هي التي منعت الجيش الروسي من التوغل لمسافات كبيرة داخل الأراضي الأوكرانية الجنوبية والجنوبية الشرقية في بداية العملية العسكرية الروسية لكن بعد مرور شهر وخاصة بعد اقفال الروس لمحاور الشمال والشمال الشرقي ظهر واضحاً تقدم الروس في مسارح العمليات الجنوبية والجنوبية الشرقية (الشكل ٥ أ، ب).

واجهت القوات الروسية في سوريا معارك أمام تحصينات معقدة ومتماسكة في جبهة كبينة في جبل اكراد شمال غرب سوريا، حيث فشلت القوات الروسية في كسر تحصينات قوات المعارضة هناك. لكن ما يميز هذه تحصينات كبينة عن تحصينات جنوب وجنوب شرق أوكرانيا هو أنها تحصينات في منطقة جبيلة متوسطة الوعورة بينما التحصينات الأوكرانية هي في مناطق سهلية مفتوحة.

الشكل (٥ أ) نلاحظ قصر خطوط العمليات في المحور الشرقي والجنوبي الشرقي مقارنة بالمحور الشمالي والشمالي الشرقي في بداية الحملة مقارنة بالمحور الشمالي والشمالي الشرقي.

الشكل (٥ ب) ويظهر فيه بعد مرور ٤٥ يوم على بدء العملية العسكرية الروسية واقفال محاور الشمال والشمال الشرقي كيف توسعت العمليات العسكرية الروسية في الجنوب والجنوب الشرقي على حساب الدفاعات الأوكرانية.

٢. تقطيع الخشب:

وهو تكتيك قتال شتوي أوجده الفنلنديون في حرب الشتاء التي خاضها الجيش الفنلندي ضد جيش الإتحاد السوفيتي عامي ١٩٣٩ – 1940 (الشكل ٦)، ويعتمد التكتيك على ترك القوات المهاجمة تتوغل نحو الداخل محكومة بطرق محددة بسبب الجغرافيا والمناخ ثم استهداف هذه الأرتال من المقدمة والمؤخرة ما يؤدي إلى تجمّد حركتها ما يجعلها كجذع الشجرة الملقى على الأرض، والتي يبدأ المدافع بعدها بالهجوم عليها من عدة أطراف على شكل كرٍّ وفرّ كما لو أنه يقوم بتطقيع جذع الشجرة الملقى على الأرض.

استخدم الأوكرانيون في هذا التكتيك لضرب القوات الروسية المتوغلة بشكل رئيسي طائرات بيرقدار TB-3 التركية إضافة للصواريخ المضادة للدروع من نوع FGM-148 JAVELIN و N-LAW.

الشكل (٦) خريطة تظهر خطوط القوات السوفيتية في فنلندا والتي تمكن الفنلنديون بعد تطبيق تكتيك تقطيع الخشب من القضاء عليها

٣. المُسيَّرات المتفوقة:
استفادت القوات الأوكرانية من الطائرات المسيرة التركية المقدمة لها في تدمير الأرتال الروسية، حيث أثبتت التجربة السورية والأذربيجانية والليبية عدم قدرة منظومات الدفاع الجوي الروسية (بانتسر اس[37]١ - تور ام[38]٢) من رؤية واستهداف المسيرات التركية.

٤. تكتيكات حرب المدن:
استطاعت القوات الأوكرانية حتى الآن الاستفادة من المدن ومعرفتها الجيدة بها لتطبيق عدد من التكتيكات التي نتج عنها إلحاق ضربات موجعة بالقوات الروسية ومنعها من السيطرة على مدن رئيسية مثل خاركييف وسومي وكييف، وأبرز هذه التكتيكات: الكمائن، صناعة العوائق، الأنفاق، تدمير الجسور، الاستفادة من الحاضنة الشعبية في تغطية تحرك القوات المدافعة داخل المدينة وعلى جبهاتها.

خاتمة:
تتزايد حالة الاستقطاب السياسي على المسرح العالمي بين مؤيدٍ لروسيا في حربها على أوكرانيا وبين معارض. أما في المنظور العسكري فنشهد إعادة تفعيلٍ لقوات حلف شمال الأطلسي بعد تنشيطها لقوة الردع الخاصة بها على الجناح الشرقي لأوروبا لأول مرة في تاريخ الحلف[39]، يأتي ذلك بعد جدالٍ دار لسنوات بين قادة أوروبا عن موت حلف شمال الأطلسي سريرياً وضرورة الحاجة إلى تشكيل جيشٍ أوروبي لحماية أوروبا[40]. أما في الجانب الاقتصادي فقد ارتفعت أسعار سوق الطاقة والغذاء لأرقام قياسية لم تشهدها منذ سنوات طويلة.

كما تُسَلِطُ القراءة العسكرية الحالية للأداء الروسي في أوكرانيا الضوء على نقاط مهمة هي، عدم قدرة القوات الروسية في المستوى التكتيكي العمل على إيجاد حلول سريعة عملية للدفاعات والهجمات المضادة التي تشُنُها القوات الأوكرانية، حيث إن القوات الروسية تعيد تجريب عدد من تكتيكاتها التي استخدمتها في سوريا في مواجهة أوكرانيا دون إحداث تعديلات جوهريّة تجعلُها متلائمة مع المسرح العسكري الروسي، باستثناء مواجهة التحصينات الأوكرانية في الجنوب والجنوب الشرقي وهو ما قد ينعكس على الساحة السورية في حال قررت روسيا شنّ عملية عسكرية على مناطق قوات المعارضة ذات تحصين جيد كما في محور كبينة في جبل الأكراد شمال غرب سوريا مستفيدة من تجربتها في أوكرانيا .

بينما في المستوى العملياتي يظهَرُ تفوق القوات الروسية واضحاً في مسرح عمليات لوهانسك ودونتسك وشبه جزيرة القرم، فقد استطاعت القوات الروسية الاستمرار بتحقيق التقدم على مستوى مسرح العمليات رغم العثرات الكبيرة التي واجهتها على مستوى التكتيك وذلك لكونها ذات طبيعة سهليّة غير معقّدة التضاريس. كما لوحظ ضعف القوات الروسية المهاجمة في عمليات الاستطلاع وتقدير طبيعة القوات الأوكرانية ما أكسب المقاومة الأوكرانية ميزة المفاجأة في عدد من هجماتها على بعض مسارح العمليات مثل كييف وخاركييف وسومي ما أجبر الروس على اقفالها والانسحاب منها. إضافة لما سبق فقد ظهر عجز القوات الروسية على مقاومة عمليات التصوير الفضائي ومكافحة عمليات الاستطلاع التي يقدمها الناتو للمقاومة الأوكرانية. نهايةً فإن القوات الروسية تسير في عملياتها على المحور الجنوبي والجنوبي الشرقي وفق خطتها مع بطءٍ في المسير وضعف في التعامل مع تكتيكات المقاومة الأوكرانية وانخفاض

فـي الزخـم علـى عـدد مـن المحـاور، بينمـا اضطُـرت للانسـحاب مـن محـاور الشـمال والشـمال الشـرقي لسـوء تقديـر الموقـف العملياتـي وعـدم تعديـل التكتيـكات بمـا يتناسـب مـع الحالـة الدفاعيـة الأوكرانيـة.

بينمـا علـى الجانـب الآخـر مـن الحـرب نـرى بوضـوح ضعـف القـوات الأوكرانيـة فـي التنسـيق بيـن عملياتهـا علـى مسـارح العمليـات الحربيـة، هـذا الضعـف فـي التنسـيق المُتزامـن أفقـد التكتيـكات الدفاعيـة الناجحـة للقـوات الأوكرانيـة كثيـراً مـن فاعليتهـا علـى مسـار الحـرب العـام، واقتصـر أثـر هـذه التكتيـكات علـى المحـاور الصغيـرة التـي يتـم تطبيقهـا فيهـا حيـث تقـوم بتأخيـر تقـدّم الجيـش الروسـي فـي عـدد مـن المحـاور العملياتيـة دون أن تتمكـن مـن إيقافـه وعكـس دفاعهـا إلـى هجـوم مضـاد ينتُـج عنـه تدميـر القـوات الروسـية المهاجمـة بشـكل كامـل.

لا بـد مـن أن الحـرب الروسـية فـي أوكرانيـا تحمـل انعكاسـات واضحـة علـى المسـألة السـورية، فقـوات الأسـد قـد تسـتغل حالـة الانشـغال الدولـي بالملـف الأوكرانـي لشـنّ هجمـات محـدودة علـى مواقـع المعارضـة، ولكنهـا قـد تصطـدم بالموقـف التركـي المعـارض لذلـك وكذلـك بالموقـف الروسـي الرافـض للتصعيـد مـع الجانـب التركـي الـذي لازال محايـداً فـي الحـرب الروسـية الأوكرانيـة، كمـا أن الأوضـاع الاقتصاديـة فـي مناطـق حكومـة الأسـد قـد تتزايـد فـي التفاقـم مـع ارتفـاع الأسـعار العالمـي وانخفـاض فـي الإمـدادات الغذائيـة الروسـية لهـا، بالمقابـل فـإن احتماليـة اختبـار الـروس لتجاربهـم المكتسـبة مـن أوكرانيـا فـي سـوريا ليـس بالمسـتبعد.

أمـا بالنسـبة للعلاقـة الإيرانيـة الروسـية فإننـا نـرى توتـراً ملحوظـاً بينهمـا فـي الملفـات السـاخنة كموقـف روسـيا مـن الاتفـاق النـووي وتصنيفهـا لميليشـيا الحوثـي كميليشـيا إرهابيـة وتوصيـف المرشـد الأعلـى الإيرانـي للهجـوم الروسـي بأنـه تعـدّي علـى أراضـي دولـة مسـتقلة، هـذا التوتـر لعلنـا نـرى انعكاسـاته علـى المشـهد السـوري فـي إعـادة توزيـع النفـوذ بيـن الطرفيـن علـى الجغرافيـا والتشـكيلات السـورية.

المراجع

1- أكسندر دوجين باحث جيوسياسي روسي معروف، ألف العديد من الكتب أبرزها «أسس الجيوبولتكا ومستقبل روسيا الجيوبولتكي» والذي يتحدث فيه عن ضرورة ضم أوكرانيا تحت السلطة الروسية لضمان أمن روسيا القومي من خلال الأداة الجيوسياسية.

2- الحرب الدفاعية: هي نوع من العقيدة العسكرية والتخطيط لمجموعة من الأنشطة القتالية حيث تستخدم من أجل ردع ومقاومة الجهة المعادية من التصرف أو القيام بعمل يهدد أمن الدولة. «ويكيبيديا»

3- لا تعتبر القيادة الروسية حربها على أوكرانيا حرباً هجومية وفق مفهومها الجيوسياسي كما يذكر ذلك المفكر الروسي ألكسندر دوغين في كتابه «أسس الجيوبولتيكا ومستقبل روسيا الجيوبولتيكي»، بل تقرؤها كحرب تُدافع بها عن أمنها القومي نتيجة تهديد جغرافيّ، فأوكرانيا هي المفتاح الجغرافي لموسكو حيث لا عوائق طبيعية تقف أمام من يسير من كييف إلى موسكو.

4- بقي اعتبار الروس في أن الوصول إلى المياه الدافئة في البحر المتوسط منذ عهد القيصر ايفان الرهيب هو عمل دفاعيّ لأساطيلها التجارية وحماية لموانئها الرئيسية في البحر الأسود، خاصة وأن قيادة البحرية الروسية مقرها سيفاستيبول في جزيرة القرم.

5- سلسلة جبلية وعرة تمتد من غرب أوكرانيا وصولا إلى شمال رومانيا.

6- ايفان الرابع أو ايفان الرهيب 1530 - 1585 مؤسس إمارة موسكو وقيصر روسيا الأول، يعود الفضل له في العمل على فكرة السيطرة الروسية على الموانع الطبيعية لحمايتها من الغزو.

7- عضو مستشار الأمن القومي الأمريكي زمن الرئيس جيمي كارتر، 1928 - 2017

8- بحكم الجغرافيا التي حكمت روسيا منذ نشأتها فإنها خاضت معظم حروبها في جغرافيا بريّة وسهليّة وهذا ما جعل عقائد الجيش الروسي واستراتيجياته تدور حول الحروب البرية.

9- هي الخطوط التي تغطي مسرح العمليات كاملًا لا محوراً واحدة، كأن نقول خطوط إمداد محور القرم.

10- يتضمن هذا الوصف جميع الجغرافيا السورية، كالشرائح البشرية المتعاونة من البداية مع روسيا وكذلك الشخصيات التي عملت لصالح روسيا في مناطق المعارضة بما يعرف بالمصالحات.

11- منطقة العمليات: هي المنطقة التي تغطي مساحة جغرافية متوسطة وتحتوي على هدف عالي الأهمية، تحتوي كل منطقة عمليات على عدد من المحاور التكتيكية.

12- أنطوان هنري جوميني 1779 – 1869، جنرال عسكري سويسري خدم في القوات الملكية الفرنسية إلى جانب نابليون بونابارت ضد البروس والنمساويين والإسبان، انتقل بعدها للعمل مع الجيش الروسي تحت قيادة ألكسندر الأول وأسس أول كلية حربية للروس عام 1826، عمل بعدها مستشراً عسكريا للقيصر الروسي نيكولاس الأول عام 1854 ثم مستشاراً عسكرياً لملك فرنسا نابليون الثالث عام 1859.

13- مركز الثقل: هو الذي يملك تأثيراً كبيراً على صنّاع القرار في الدولة، لا يرتبط مركز الثقل بالجغرافيا فقط فقد يكون عسكرياً، أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو سياسياً أو اعلامياً أو قد يكون شخص رئيس الدولة أو فريق القيادة العليا للدولة .... الخ.

14- ضابط طيران إيطالي 1869 – 1930، يعتبر مؤسس المذهب العسكري الجوّي، تعتمد نظريته على مبدأ (تحطيم الأمم من خلال التدمير العسكري من الجو)، شارك في الحرب العالمية الأولى ضد الدولة العثمانية وطبق فيها نظريته التي لقيت صداً كبيراً بعد ذلك.

15- يعني اضعاف غزارتها وفاعليتها من خلال التدمير والتشتيت.

16- الخط الذي تشتبك فيه القوات المدافعة مع القوات المهاجمة أو ما يعرف بخط النار.

17- الكاتب: دراسة كيف سقطت حلب، مركز نورس للدراسات.

18- هو تكتيك يهدف إلى فتح ثغرة في جبهة القوة المدافعة من خلال القوات المدرعة، ثم توسيعها من خلال تثبيت قوة مشاة بشرية ونارية في الثغرة لمنع القوة المدافعة من إعادة إغلاق هذه الثغرة، ويُستخدم هذا التكتيك في المناطق السهلية بشكل رئيس.

19- هو استخدام السفن الحربية لإنزال قوات نخبوية من البحر إلى اليابسة لاقتحامها.

20- الإنزال التكتيكي هو الإنزال الذي يتم ضمن عمق لا يتجاوز 20 كم في مناطق العدو ويحمل فصيلة أو مجموعة. «كتاب الإنزالات المعتمد في الجيش العربي السوري»

21- مروحيات تستخدم في عمليات إسناد القوات البرية التي تقوم بعملية اقتحام أو عملية إنزال، تتميز بقدرة عالية على المناورة إضافة لسرعة في الحركة، وتتميز بتسليح متنوع من رشاشات متوسطة إلى صواريخ قصيرة المدى مضادة للأفراد والدروع، المروحيات هذه تعرف بمروحة التمساح.

22- مجموعة الكتيبة التكتيكية battalion tactical group: هي وحدة مناورة مشتركة الأسلحة، تتألف مجموعة الكتيبة

التكتيكية عادة من كتيبة (مشاة ميكانيكية نموذجية) ومن 2-4 سرايا معززة بوحدات الدفاع الجوي والمدفعية والهندسة والدعم اللوجيستي ، والتي تشكلت أصلاً من لواء عسكري محصّن. وعادة ما تُعَزِز سرية الدبابات والمدفعية الصاروخية الكتيبة التكتيكية. شكلت مجموعة الكتيبة التكتيكية الدعامة الأساسية للتدخل العسكري الروسي في أوكرانيا من 2013-2015 ، ولا سيما في حرب دونباس.

23- أو ما تعرف بقوات النمر والتي تتبع لجهاز المخابرات العسكرية السوري.

24- الكتيبة المختلطة تسير وتقاتل في مسافات لا تتجاوز 30 إلى 40 كم.

25- وهي حلقة تستعمل في العمليات التكتيكية وتتميز بأنها تعطي أفضلية بالمبادئة والتحرك للطرف القادر على تطبيقها بشكل أسرع، وهي اختصار للكلمات التالية act – decide – orient – obsarve وترجمتها لاحظ – توجه – قرر – افعل.

26- اشتباك جو – جو يطلق على القتال الذي يدور بين طائرتين حربيتين من خلال صواريخ جو-جو أو رشاشات تحملها هذه الطائرات.

27- مثل صواريخ ستينغر.

28- https://www.reuters.com/business/aerospace-defense/exclusive-us-assesses-up failure-rate--60-24-03-2022-some-russian-missiles-officials-say/

29- https://www.youtube.com/watch?v=_WGcfkqzUI4

30- ذكر معهد RUSI البريطاني أن عدد ساعات الطيران الحقيقية للطيران الروس لا تتجاوز 1000 ساعة. https://rusi.org/explore-our-research/publications/commentary/mysterious-case-missing-russian-air-force

31- صواريخ يتم اطلاقها من الطائرات على أهداف أرضية ثابتة.

32- S300 – S400

33- https://rusi.org/explore-our-research/publications/rusi-defence-systems/russian-air-force-actually-incapable-complex-air-operations

34- https://rusi.org/explore-our-research/publications/rusi-defence-systems/russian-air-force-actually-incapable-complex-air-operations

35- https://www.youtube.com/watch?v=_WGcfkqzUI4

36- https://www.youtube.com/watch?v=nbc7299kLOE

37- هو نظام دفاع جوي ارض-جو قصير ومتوسط المدى.

38- هو نظام صاروخي مضاد للطائرات ذاتي الحركة قصير المدى يعمل في الارتفاعات المنخفضة والمنخفضة جداً وفي كافة الأحوال الجوية صمم للتعامل مع الطائرات الحربية والطائرات المروحية والصواريخ الكروز وقنابل الطائرات الموجهة والصواريخ الباليستية قصيرة المدى.

39- https://arabic.sputniknews.com/20220225/%D8%-81%D9%84%AD%D9%D8%-A-%D8%-88%AA%D9%D8%A7%D8%86%D9%84%D9%7-86%D9%84%D9%B9%8A%D8%D9%-A9%D8%88%D9%82%D9%-84%8A%D9%D9%B9%D8%81%AA%D9%D8%-%-A9%D8%B1%D8%85%D9%-84%D9%88%D9%A3%D8%84%AF-%D9%D8%B1%D8%84%D9%A7%D8-%D8%A7%D8%85%8A/%D9%D9%84%D9%88%AF%D9%-html.1059168225-87%AE%D9%8A%D8%D9%B1%D8%A7%AA%D8%8A-%D8%D9%81%D9%-40 https://www.aa.com.tr/ar/%D8-89%D9%84%D9%A5%D8%-88%D9%B9%AF%D8%8A%D8%D9%-86%D9%88%D9%B1%D8%3-%D9%B1%D8%88%D9%A3%D8%-B4%8A%D8%AC%D9%D8%-A1%D8%A7%D8%B4%D8%86%D9%A5%D8%-1304396/8A%D9%82%8A%D9%D9%82%AD%D9%8A-%D8%D9%A8%D8%88

عن المؤلف

عمار الفرهود باحث مهتم بالشؤون العسكرية وجماعات ما دون الدولة

عن الشرق للأبحاث الاستراتيجية

هو مركز يقوم بأبحاث محايدة ودقيقة، هدفها تعزيز قيم المشاركة الديمقراطية، والمواطنة المستنيرة، والحوار المتبادل، والعدالة الاجتماعية.

Address: Istanbul Vizyon Park A1 Plaza Floor:6
No:68 Postal Code: 34197
Bahçelievler/ Istanbul / Turkey
Telephone: +902126031815
Fax: +902126031665
Email: info@sharqforum.org

الشرق للأبحاث الاستراتيجية
AL SHARQ STRATEGIC RESEARCH

research.sharqforum.org

SharqStrategic